

اللغة في الخطاب الروائي ( رواية الجسد الراحل – أسماء الزرعوني - نموذجاً ) :

### ملخص البحث :

تعدّ اللغة الأداة التي تستخدم في بناء العمل الفني الأدبي، ومن خلالها يعبر الكاتب عن أصدق العواطف، وأرق الأحاسيس بكلمات مناسبة بعيداً عن التكلف والزخرفة .

وبما أنّ الرواية نظام لغوي أدبي، يعكس ثقافة الروائي الذي أنتجها وأبدعها تأتي هذه الدراسة لتتناول اللغة في رواية ( الجسد الراحل ) لأسماء الزرعوني، من خلال الوقوف على اشتغال اللغة الروائية، ودراسة ومعرفة أهم النظريات النقدية في مجال اللغة، وتطبيقها على رواية ( الجسد الراحل ) مستهدفة لغة السرد، ولغة الحوار .

### Summary Search

Language is the tool that is used to build a literary art work ,and through which the writer expresses sincere emotions and thinner sensations, appropriate words away from affectation and decoration . Since the novel literary language system reflects the culture shared by the novelist and produced . This study is dealing with the language in the novel (departed body) by Asmaa Az zaroni, by standing on the functioning of language in fiction, Study and learn the most important monetary theories in the field of language applied to novel (departed body) which target narrative and dialogue language.

## المقدمة :

ما بين التمسك في الماضي وتقاليده، وبين الانجرار إلى ما هو حديث، ظهرت الرواية هذا النوع من الأدب الذي يركز على عملية التغيير في المجتمع، كمرآة عاكسة لهذه العملية .

وتعدّ الرواية جنساً أدبياً حديث النشأة في منطقة الخليج عموماً، والإمارات خصوصاً مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، لأسباب أهمها، أنّ الرواية ابنة المجتمع المدني والشعر ابن المجتمع البدوي الصحراوي، والخليج كما هو معلوم منطقة صحراوية، لذلك كان الاهتمام منصبا على الشعر أكثر من النثر، إلا أنه وبعد قيام اتحاد دولة الإمارات بقيادة الشيخ زايد - رحمه الله - وبعد ظهور النفط، بدأت تتشكل الحياة المدنية، فشجعت الدولة على التعليم، وتطوّرت المدن الإماراتية ( الشارقة - دبي - أبو ظبي )، وأصبحت تضاهي المدن العصرية كنويورك وبكين ولندن، وانفتح المجتمع الإماراتي على باقي الشعوب، كل ذلك ساعد في انتشار فن الرواية في الإمارات، وبدأنا نرى كتابات محكمة في القصة والرواية تنافس فن الشعر الذي احتلّ صدارة الفنون الأدبية، وخاصة بعد دخول العنصر النسائي إلى مرحلة التنافس في الكتابة، والتي أخذت تتفوق على العنصر الذكوري في مجال كتابة الرواية والقصة، ومن بين تلك الكتابات الروائية رواية الجسد الراحل - موضوع دراستنا - للكاتبة أسماء الزرعوني .

**وسبب اختيارنا لهذه الرواية فضولنا لمعرفة الكاتبة أسماء لما لها من اسم بين الكاتبات الإماراتيات .**

**أمّا سبب اختيارنا لهذا الموضوع - اللغة في الخطاب الروائي - غياب مثل هذه الدراسة، وإن وجدت فهي قليلة مقارنة بباقي عناصر الخطاب الروائي كالشخصية والزمان والمكان .**

أمّا المنهج المتبع في دراستنا، فهو المنهج التاريخي من خلال تتبع مراحل دراسة اللغة الروائية من قبل النقاد، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الوصفي من خلال تحليل اللغة في رواية ( الجسد الراحل ) .

## موضوع رواية الجسد الراحل :

الرواية اجتماعية واقعية، تتحدث عن تعلق الإنسان بوطنه، فجعلت الكاتبة من الشخصية الرئيسية - عيسى - رمزا يمثل كل إنسان يغترب عن وطنه طلباً للرزق، تاركاً خلفه ذكريات الماضي وكلّ شيء جميل، وعيسى في الرواية ترك وطنه الإمارات بسبب خلاف مع زوجة والده التي تزوجها بعد وفاة والدته، فسافر إلى البحرين تاركاً ذكرياته الجميلة التي قضاها في وطنه بين أهله وأحابه، كما ترك خلفه محبوبته التي بقيت تعيش في ذاكرته طول حياته، وفي البحرين يتعرف على رجل يعمل معه في الميناء - خلف - أحبه كثيراً وجعله كوالده، ثمّ ما لبث أن تعلق به ابنة خلف - ليلي - فلم يجد من مهرب منها سوى الهجرة إلى بريطانيا، وعلى ظهر الباخرة التي نقلته في رحلة الهجرة إلى بريطانيا يتعرف على شاب مصري مهاجر - سمير - يصبحان صديقين، وعند وصولهما إلى الميناء في مدينة الضباب بدأا يبحثان عن عمل في الميناء، فيجتمعان برجل باكستاني الأصل - محمود - يساعدهما في تأمين العمل، وبعد فترة أراد أن ينسى بديرة فقرّر الزواج من ابنة محمود ميري، لكن هذا الزواج لم يمنعه من العيش في المفارقة بين الحنين إلى الأهل والديار والأحبة، وبين الحياة والعمل والزوجة والأولاد في بريطانيا، فيصدق عليه قول الشاعر :

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

واعتمدت الكاتبة في بنائها الروائي، على المقدمة الشخصية، قدمت فيها الشخصية الرئيسية، أما بناء الحدث فاعتمدت على النسق الدائري، حيث بدأت من نقطة النهاية متكئة على ذاكرة عيسى في استرجاع ما حدث معه، واختارت لشخصياتها أسماء تدل عليها، فجعلت الاسم دال والشخصية مدلول، لتمنح أحداث الرواية الصدق الفني، كما ذكرت أسماء أماكن مطابقة لأسماء أماكن حقيقية في العالم الطبيعي، حتى توهم القارئ بواقعية الرواية .

## اللغة في رواية الجسد الراحل لأسماء الزرعوني :

تعدّ اللغة ميزة يتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات الحيّة، كما تعدّ من نعم الله التي أنعم بها على الإنسان لقوله تعالى : " الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان " (١)

كما جاء معنى ( لغة ) في لسان العرب " أنّ اللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم، واللغة : اللسان، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (٢)، أمّا في المعجم الوسيط فاللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وجمعها لغى ولغات، ويقال سمعت لغاتهم : اختلاف كلامهم " (٣)، هذا ما ورد من معنى لغة في المعجم اللغوية .

أمّا اصطلاحاً فتمثل اللغة "مجموعة مفردات الكلام وقواعد توليفها التي تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بوساطتها أفكارها ورغباتها ومشاعرها " (٤)، فهي وسيلة للتواصل كالإشارات والأصوات والألفاظ .  
وعلى أن نضع حداً فاصلاً بين مفهومين قد يتداخلان أحياناً في أذهان الدارسين، وهما (اللسان واللغة)، فاللسان " متعدد الأشكال غير متجانس، فاللسان ينتمي إلى عد من المجالات المختلفة في آن واحد، فينتهي إلى المجال الفيزيقي والفزيولوجي والنفسي، كما أنّه ينتمي إلى المجال الفردي

---

(١) القرآن الكريم : سورة الرحمن، الآيات ٢١٣- ٢١٤.

(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة ( لغا )، المجلد الخامس عشر، ط١، دار صادر بيروت ١٩٩٤، ص ٢٥٠.

(٣) إبراهيم أنيس ورفاعة : المعجم الوسيط، طبعة مصر، القاهرة، ١٩٧٢ : ص ٨٣١، مادة لُغًا.

(٤) مجدي وهبه، كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤، ص ٣١٨.

والجماعي، ولذلك يصعب تصنيفه أو استكناه وحدته" (١)، ولللسان علم خاص به هو اللسانيات، الألسنية الذي يدرس القواعد الأساسية التي تدور حولها الإشارات الصوتية لقوم ما أو جماعة ما، ومنه نستطيع أن نقول إن هناك لساناً عربياً، وآخر فرنسياً، وآخر إنكليزياً ....

أما اللغة فهي تمثل " وحدة كلية من دراسة الصور المخزونة في ذاكرة مستخدم هذه اللغة، وهي مستودع يضم صور العلاقات المخزونة في عقول هؤلاء الأفراد" (٢)

ولا بد من الاستعانة بمثال يوضح الفكرة، فلتكن النار مثالا، أستطيع أن أستعمل النار للتدفئة، بينما يستعملها آخر للطهي، وآخر للإنارة، وآخر لطقوس العبادة، وآخر لإحراق مدينة، وآخر، وآخر، كل حسب المستوى الحياتي الذي هو فيه، فإن كانت النار هي اللسان، فإنّ مستوى انزياحاتها في الاستعمال الحياتي أو الوظيفي أو التعبيري هي اللغة، فاللسان غير متجانس، أمّا اللغة فهي متجانسة كونها نظام من الإشارات هدفه الربط بين المعاني والصور الصوتية .

ومن أجل ذلك نجد عدّة لغات داخل اللسان الواحد، كلغة السياسة، ولغة السوق، ولغة القانون ..... وتظل اللغة في توالد وتزايد لتؤدي حاجتنا اليومية .

واللسان يتكون من جانبين، اجتماعي ويمثل اللغة، وفردية يمثل الكلام أو ما يطلق عليه العملية الصوتية، ومن هنا وجب علينا التمييز بين اللغة

---

(١) إميل بنفست : سيميولوجيا اللغة، ترجمة : سيزا قاسم، فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد الأول، العدد ٣ إبريل ١٩٨٣، ص ٥٦.

(٢) د. سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٧، ص ٦.

والكلام " فاللغة تتخلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة، فاللغات البائدة مع أنها لم تعد تستخدم في الكلام، نستطيع بسهولة أن نتعلم أنظمتها اللغوية، فنخلص من بقية عناصر اللسان الأخرى، بل إن علم اللغة لا وجود له إلا إذا أقصيت العناصر الأخرى " (١)

واللغة من حيث كونها مفردات وتعابير وجمل، هي الأرضية التي ينبت عليها الأدب، فاللغة حلية الأدب ومادته، ووسيلة المبدع في التعبير عن أفكاره ورؤاه؛ ولا ينهض بناء أجناس الأدب إلا عليها ومن هذه الأجناس، الرواية التي ينهض تشكيلها على اللغة، فهي عمل لغوي فني في المقام الأول، فاللغة تعد من عناصر الرواية الأساسية لأنها " الدليل المحسوس على أنّ ثمة رواية ما، يمكن قراءتها ودون اللغة لا توجد رواية، كما لا يوجد فن أدبي " (٢)

فباللغة تتحدث الشخصيات، وتنمو الأحداث، ويعبر الكاتب فيها عن أفكاره، ويتعرف القارئ من خلالها على أفكار الكاتب، وهي في الرواية كالوعاء الذي يحمل جميع العناصر الروائية الأخرى كالزمان والشخصيات والسرد والحوار .

وعليه فإنّ اللغة هي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويجسد رؤيته، وينقلها للناس من حوله، وهذا ما يدفع الروائي إلى انتقاء لغة بسيطة واضحة للناس .

---

(١) فردينان دي سوسير : علم اللغة العام، ترجمة : د. يونيل يوسف عزيز، مراجعة : د. مالك يوسف المطليبي، ط٣، دارأفاق عربية بغداد ١٩٨٥، ص٣٣.

(٢) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ١٩٩٧، ص٢٦.

إلا أن دراسة اللغة الروائية قد تم إغفالها من الدرس النقدي، في الوقت الذي انصبّت جهود الباحثين والدارسين في العناصر الروائية الأخرى، وإن نظر إليها فينظر إليها، بنفس المعايير التي تنطبق على الشعر كدراسة المحسنات اللفظية والمعنوية والبلاغية والصور الشعرية وغيره، فكانوا يدرسونها من خلال التركيز على البلاغة فيوضحون الصور الفنية، من تشبيه واستعارة، وكنائية، ويرصدون المحسنات البديعية، فكانت دراستهم تسقط مفاهيم البلاغة الشعرية على الرواية دون مراعاة خصائصها النوعية وبنائها التعبيري .

ويعتبر المنظر السويسري فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) مؤسساً لعلم اللغة الحديث، في كتابه ( علم اللغة العام ) ومساهمته تشمل " أسلوباً فكرياً بأكمله، وإطاراً كاملاً من الاهتمامات والقيم، تدور ضمنه اليوم جميع المناقشات الأساسية، ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الموضوعات اللغوية الثانوية" (١)، ولعلّ أبرز ما قام به ( دي سوسير ) تمييزه بين اللغة والكلام " فاللغة ليست وظيفة الفرد، بل هي نتاج يهضمه الفرد بصورة سلبية، ولا تحتاج إلى تأمل سابق ... أمّا الكلام، فعلى العكس من ذلك، فعل فردي، وهو عقلي مقصود" (٢)، ثم جاء عديدون من بعده وطوروا هذا العلم ليصبح مجموعة من العلوم والنظريات، ويذهب موكاروفسكي بعد تحليله للأسلوب الشعبي للكاتب التشيكي ( يان نيرودا ) أنّه " يمكن تقسيم اللغة كمجتمع، في مرحلة تاريخية معينة إلى عدّة لغات، أو لهجات جماعية" (٣)، كما يؤكد على أنّ عناصر النص تقوم " إلى جانب الوظائف الخيالية بوظائف

---

(١) فرديناند دي سوسير : علم اللغة العام، ص ٣.

(٢) فرديناند دي سوسير : علم اللغة العام، ترجمة : د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة : د. مالك يوسف المطليبي، ط ٣، دارأفاق عربية بغداد ١٩٨٥، ص ٣٣.

(٣) د. عبد الرحمن غانمي : الخطاب الروائي العربي قراءة سوسيو لسانية، الجزء الثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٣، ص ١١٩ .



اجتماعية محددة، وأنّ كل ما يتضمنه العمل الشعري، يمر حتما عبر اللغة كوظيفة وسيطة ملتصقة بالمجتمع " (١)

ولقد دعا الباحث الفرنسي رولان بارت (١٩١٥-١٩٨٠) إلى الوحدة بين اللغة والأدب ذلك، لأنه لم يعد من الممكن تصور الأدب فنا يهمل العلاقة باللغة من كل جهة، فدعا إلى دراسة الخطاب عن طريق الأسلوبية التي كانت تهتمّ بالجملة فقط، وشجع على إقامة علاقة مماثلة بين الجملة والخطاب، معتبرا الخطاب جملة كبرى فيقول: " الدلائل والعلامات التي تتكون منها اللغة، لا توجد إلا بقدر ما يعترف بها، أي بقدر ما تتكرر وتردد ... ليس باستطاعتي الكلام دون أن يجبر كلامي في ذيلوه ما يعلق باللسان، وما إن أصوغ عبارة ما حتى تلتقي عندي الخانتان المذكورتان " (٢)

ولعلّ ( باختين ) في مقدمة نقاد القرن العشرين الذين اهتموا باللغة بشكل عام، وباللغة الروائية بشكل خاص اهتماما غير مسبوق، فهو أول من طرح نظرية ( التتميط للنص الروائي )، فحدد خمسة أشكال لأنماط المقاربة الأسلوبية للخطاب الروائي وهي: (٣)

١- يجري تحليل كلمة المؤلف المباشرة، من وجهة نظر التصويرية والتعبيرية الشعرية المألوفة، مثل الاستعارات والتشبيهات والنحل المعجمي .

---

(١) د. عبد الرحمن غانمي : الخطاب الروائي العربي قراءة سوسيو لسانية، ص ١١٩.

(٢) رولان بارت : درس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، تقديم : عبد الفتاح كليطو، ط٣، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٩٣، ص ١٥.

(٣) ١٦- ينظر : د. صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢، ص ٢٧١ .

٢- يتم استبدال التحليل الأسلوبي في الرواية إلى وصف ألسني محايد للغة الروائية بوصفها كلاً فنياً .

٣- تختار من اللغة الروائية العناصر المميزة للاتجاه الفني الأدبي مثل عناصر الرومانتيكية أو الطبيعية أو الانطباعية .

٤- تحلل لغة الرواية على أنها أسلوب فردي للغة الروائي .

٥- تدرس الرواية على أنها جنس بلاغي وتحلل وسائلها وطرقها من وجهة نظر فعاليتها البلاغية .

والخاصية الجوهرية للغة الرواية عنده هي " الحوارية والإنارة بالتعدد، فلغة الرواية هي نظام لغات تنير إحداها الأخرى حوارياً، ولا يجوز وصفها ولا تحليلها باعتبارها لغة واحدة ووحيدة" (١)، فالرواية عنده ظاهرة لغوية تتجلى في تعدديتها اللغوية، فقد نشأت الرواية بخلاف باقي الأجناس الأدبية الأخرى من التعددية اللغوية الداخلية والخارجية .

ولما كانت الرواية تقوم على مزيج من اللغات وعلى أكثر من نسق لغوي، فقد تحدث باختين عن لغة الروائي التي أصبحت مشكلة من لغات متعددة ومتنوعة، تلقي الضوء على تعدد لغات فئات المجتمع المختلفة، ومن هنا ينظر ( باختين ) إلى الكلمة الروائية على أنها حاملاً لفكر الكاتب لا بوصفها أسلوباً للكاتب فقط ، وتأتي جهود الناقدة البلغارية ( جوليا كريستيفا ) لتكمل أبحاث أستاذها ( باختين ) باستحداثها مصطلح التناس، الذي الذي يتعلق " بالعلاقات الحاصلة بين أحد النصوص ونصوص أخرى يستشهد

---

(١) ينظر : د. صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢، ص ٢٧٢

بها، يعيد كتابتها، يمتصها، يوسعها، أو بصفة عامة، يقوم بتحويلها، ويغدو بناء على ذلك معقولا " (١)، حيث تتحول الرواية إلى حوار مع الذات وتواصل مع نصوص أخرى باعتبار أن كل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر .

وبهذا نجد بأن النقاد الغرب درسوا اللغة الروائية منذ القدم لكنهم لم يهتموا بها كاهتمامهم بالعناصر الأخرى ( زمان - مكان - شخصيات .. ) وبهذا يتعجب عبدالملك مرتاض حيث يقول : " وإنا لنعجب أشدّ العجب كيف يمكن الحديث عن الشخصية التي تنهض بالحدث، أو يقع عليها الحدث، أو حولها حين تضطرب في الحيز، أو يقتلها الحيز، أو حين تسير في نوء الزمان فيبليها بعد جدة، ويُفنيها بعد حياة : ثم يقع الصمت من حول اللغة التي يجب أن تخاطبَ بها، أو تخاطبَ بها هي غيرَها: كيف يجب أن تكون ؟ وما مستواها ؟ وما وظيفتها ؟ وما صفتها ؟ وما علاقتها بما يضطرب في الرواية ؟ " (٢)، وانقسم النقاد والباحثون العرب أمام مستويات التواصل اللغوي الروائي ( السردى - الحوارى ) إلى توصيفين : " فموقف أول يقول : إنّ اللغة السردية عادة ما تكون مكتوبة بالعربية الفصحى، بينما هي في المستوى الحوارى مكتوبة بأغابيتها بالعامية الشعبية، وهناك توصيف ثان فموقف مبني عليه يقول : إنّ اللغة السردية تكتب بالعربية الفصحى، وإنّ لغة الحوار تكتب بالفصحى أو عليها مهما كانت الذرائع أن تكتب بالعربية الفصيحة " (٣)، وكلّ فريق منهم قدّم حججه، أمّا حجج الفريق الأول " الذي

---

(١) جيرالد برنس : قاموس السرديات، ترجمة : السيد إمام، مرجع سابق، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) د. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - شعبان ١٩٩٠، ص ١٠٥.

(٣) د. منقذ نادر العقاد : بنية السرد في الرواية العربية الجديدة، ط ١، دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، الشارقة ٢٠١٢، ص ٧٣.

---

من رواده روائيون عرب من الرعيل القديم كإحسان عبد القدوس، فإنهم يدافعون عن عامية الحوار، وفصحى السرد، بأن لغة الحوار وكذلك السرد الروائي ينبغي أن تقاس على الوضع الاجتماعي والمقام الثقافي للشخصية الناطقة بالحوار، وذلك من أجل موافقة لغة الشخصية لتفانها ... ومن ناحية ثانية لكسر الجدار اللغوي العازل بين الروائي المنغلق على لغته وأدبه وبين القارئ العادي الذي ترهقه اللغة المقعرة ويريد لغة يتعايش معها ويستمتع بها" (١)، أما ما ذهب إليه الفريق الثاني من حجج مفاها " أن ذلك يكرس القطيعة بين القارئ ولغته، وكأن الكتابة بالفصحى خاصة فقط بالروايات التاريخية، فيقترن في عقل القارئ الباطن أن اللغة الفصيحة هي لغة التاريخ وليست لغة الحاضر" (٢)

وبذلك نجد عبد الملك مرتاض يدافع عن اللغة الفصحى بقوله : " إن الكتابة الروائية عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي، ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة، وإذا كانت غاية بعض الروائيين العرب المعاصرين هي أن يؤذوا اللغة ( ليس بالمفهوم الفني، ولكن بالمفهوم الواقعي للإيذاء) بتسويد وجهها، وتلطيف جلدتها، وإهانتها بجعل العامية لها ضرة في الكتابة .. فلم يبق للغة العربية إلا أن تزعم حقائبها، وتمتطي ركائبها، وتمضي على وجهها سائرة في الأرض لعلها أن تصادف كتابا يحبونها من غير بني جلدتها" (٣)

---

(١) د. منقذ نادر العطار: بنية السرد في الرواية العربية الجديدة، ص ٧٣-٧٤.

(٢) د. منقذ نادر العطار: بنية السرد في الرواية العربية الجديدة، ص ٧٤.

(٣) د. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، ص ١٠٦.

---

ويذهب إلى أن استخدام اللغة فصحة وعامية في عمل أدبي واحد، يصيب هذا العمل نشاز فيقول : " وإذا استحالت اللغة إلى فصحي وعامية، وإلى شعرية وسوقية، وإلى عالية ومدنية، في عمل واحد، وفي موقف واحد، أصاب العمل الفني نشاز ، واغتنى ممزقا مبعثرا، يتسم بشيء من الفوضى، وربما بشيء من الاضطراب " (١)، والقول في هذه القضية ما انتهى ولن ينتهي ما دام الكون قائما ببني البشر لأن هذا يمثل جري الإنسان نحو الكمال في أمور إنسانية لا كمال فيها. وعلى الرغم من هذا كله ينار ضوء في غسق الليل، يشير إلى لغة ثالثة وسطى بين الفصحى والعامية، السهلة القريبة من مسامع الناس " حتى كأنها لغتهم اليومية المحكية ولكن بشيء من الاستقامة اللفظية والفصاحة اللسانية، والناس تفهم هذه اللغة لأن الناس عندنا في غالبيتها مسلمة، ولغة القرآن عربية بلاغية إعجازية، وهي لغة الحديث الشريف وخطب الجمعة، كما أنّ الناس لا تجد صعوبة في فهم نشر الأخبار السياسية مثلا مع أنها باللغة الفصحى " (٢)، ومن ملامح هذه اللغة الثالثة يجب أن تكون، وسطى بين الفصحى والعامية، قريبة من الواقع المعاش، شاعرية فيها إحياء ورشاقة ، وألا يطغى فيها الحوار على السرد، ويعتمد حوارها على الجمل القصار ما أمكن .

---

(١) د. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، ص ١١١ .

(٢) د. منقذ نادر عقاد : بنية السرد في الرواية العربية الجديدة، ص ٧٦ .

---

## ١- لغة السرد :

يبقى السرد من أهم ما يميز العمل الروائي، لأنه أفضل الطرق التي يقدم عن طريقه الشخصيات والأحداث، ويوصف المكان والزمان، وهو " فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب "(١) وأجمع النقاد على فصحي لغة السرد، وأكدوا على ضرورة التنوع في مستوياتها، حيث يختار الراوي الطريق المناسبة لتجسيد مواقفه . ولقد اعتمدت الكاتبة - أسماء - الفصحي لغة السرد في روايتها، متنقلة بين مستوياتها ومن هذه المستويات :

أولاً: المستوى التقريري : اتكأت الكاتبة على هذا المستوى لتقديم شخصياتها الثانوية بلغة تقريرية موجزة، ومن هذه الشخصيات شخصية ابن عم بدرية، الذي كانت تكره زيارته المتكررة إلى بيتهم " كم تكره ابن عمها، وتنزعج من زيارته المتكررة، تهاجمها مشاعر الخوف من طلب يدها للزواج، وعيسى يعيش معها في حياتها وأحلامها .. "(٢)

بهذه اللغة التقريرية قدمت تقريرا موجزا عن ( ابن عم بدرية )، ولقد استخدمت الفعل المضارع ليدلّ على استمرارية شعور بدرية بالحزن والكآبة، والضيق بعد سفر عيسى، ومن تلك الشخصيات أيضا، شخصية عمه عيسى ( عشبة ) التي كانت تسكن في مدينة العين " كانت تعيش في مدينة العين، ترى كم ولدا صار

---

(١) -د. لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية، ط١، دار النهار للنشر مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠٢، ص١٠٥.

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ٢٠٠٤، ص٤٥.

عندها؟ وكيف أصبح شكلها؟ كانت فاتنة، قبل رحيلي بشهور قمنا بزيارتها، كنا نزورها في السنة مرة لبعدها المكان وصعوبة الطريق" (١)

في المتكطف السابق من الرواية، نجد الكاتبة تنوع في استخدام الأساليب، فتراوح بين الأسلوب الخبري والإنشائي، لتقرير المعنى في ذهن المتلقي وتحقيق الاتصال معه، وإيصال أفكار نصها إلى أكبر عدد من المتلقين. كما لجأت إلى هذا المستوى من اللغة للتعبير عن انقضاء فترات زمنية ومنه " مرت شهور وهو منهمك في عمله الشاق بين ضجيج الأفواه وأبواق السفن وطيف بدريّة والأزقة التي لعب فيها وبخاصة في لخطات الراحة من العمل " (٢)

هكذا استعانت الروائية بهذا المستوى من اللغة، للإخبار عن شخصية ثانوية، أو انقضاء فترات زمنية محددة، بلغة تقريرية واضحة .

ثانياً : المستوى التصويري :

الرواية أكثر الفنون استعانة بهذا المستوى من اللغة، لأنها تصوّر المواقف والأحداث تصويراً ينبض بالحركة، ويمتّع القارئ ويجعله يعيش في جوّ النص . فنجد الكاتبة تستعين بالصورة الفنية لتصوّر حركة السفينة وصوتها، وهي تشقّ عباب البحر، متكئة على الاستعارة " ماكينة السفينة تزار بصخبها، وأصوات البحارة تتقاطع، المياه تنزف هديرها تحت وطأة الحركة المباغثة للسفينة التي تتمايل وتدور وتبتعد ... " (٣)

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٣٩ .

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٢٠ .

(٣) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٨٢ .

---

جعلت من هذا المقطع لوحة فنية مليئة بالصور الموحية لقسوة الموقف، موقف مغادرة عيسى الديار قاصدا البحرين، فأحضرت ألفاظا تناسب الصور ( تزار- تنزف ) .

ومن استخدام الصور الفنية للتعبير عن مشاعر عيسى حينما تذكر أمه " مسح عيسى دموعها ورحل مع جرح الغربة وأمّه، ما أعظم الأم تذكر هجرته وغربته بسبب فقدانه لأمّه، كاد يبكي كالطفل بين يديها، لقد هربت من عيون الشمس إلى قلب الجليد، على كوايبس ما لا نهاية لها .... " (١)، شبه نفسه بالطفل حينما تذكر والدته، هذه الصورة تحمل مشاعر الحنين، كذلك تكراره لكلمة ( الأم ) فهي رمزا على الحنين .

كما جسدت اللغة التصويرية بعباراتها الموحية وألفاظها الجميلة، الحدث صوتا ومسمعا وحركة، فنقلت للقارئ إحساسا عميقا به " تطاير رماد قلبه، وتوقفت الدماء في عروقه، وكادت أن تفضحه ركبتاه المتوترتان عندما وقعت عيناه على أم عيسى، كاد أن ينسى نفسه ويطلق اسمها : إنها ليلي، هي ليلي " (٢)

اتكأت الروائية في هذا المشهد باللغة التصويرية العميقة، لتتنقل للقارئ صورة الحدث، وحدث كهذا يتطلب من الكاتبة العمق في المشاعر والعواطف، فقولها ( تطاير رماد قلبه ) أعطت للحدث حركة، ومتعة وتشويقا للمتلقي وجعلته يتخيل موقف ارتباك عيسى وكأنه يحدث أمام عينيه .

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٥٦ .

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٦٢ .

---



من خلال ما سبق يبدو أنّ الروائية، وبلغتها التصويرية استطاعت أن تكشف عن انفعالات شخصية عيسى، وجعلت القارئ يشعر بالمفارقة التي يعيشها عيسى .

ثالثاً : المستوى التعبيري : يمثل المستوى التعبيري ركيزة أساسية استندت إليها الكاتبة للتعبير عن مشاعر شخصياتها وعواطفها .

ومن ذلك التعبير عن حالة الاضطراب عند عيسى، بعد محادثته مع ليلي " أم عيسى، يا إلهي، لم تمهني فرصة الرد عليها، كيف سأقابلها؟ وماذا أقول لها؟ كيف ستمر الساعات؟ إنني أفقدك يا سمير، يا صديق الغربة .... " (١)، فهذه التساؤلات توحى بحالة الاضطراب التي يعيشها عيسى، وتركت الكاتبة عيسى يتحدث عمّا في داخله لتعطيه أكثر صدقا، وأعمق إحياء لمشاعره وأحاسيسه . كما عبرت الكاتبة بهذا المستوى من اللغة، عن مشاعر وأحاسيس خوف بدرية على عيسى " أما بدرية فكان الخوف يعصر قلبها، فهي تقرأ الرسالة عدة مرات في اليوم، لقد حفظت كلماتها ولا تجرؤ على البوح ... " (٢)

هذه اللغة التعبيرية تحمل انعكاسات مشاعر الخوف على عيسى من قبل بدرية، فكلمة ( مرات ) جمع مؤنث سالم يوحي بكثرة الحزن والخوف عند بدرية، كما أنّ استخدام المضارع ليبدل على استمرارية مشاعر الخوف عند بدرية .

وبهذا نخلص بأن اللغة التعبيرية في الرواية كان لها دورا بارزا في التعبير عن مشاعر الشخصيات .

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٢٤ .

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٣٥ .

---

رابعاً : مستوى التناص : ذكرنا سابقاً بأن أول من ذكر مفهوم التناص  
الباخثة البلغارية ( جوليا كرسيتقا ) أخذته من أستاذها ( باختين ) الذي  
اكتشف مفهوم الحوارية وعدته وظيفة تناصية تتقاطع فيها نصوص  
بأخرى، والتناص موجود في الخطاب النقدي العربي التراثي، ولكن  
تحت تسميات أخرى، كالنقائض، والسرققات، والمعارضات، والاقتباس  
والتضمين . واستخدمت الروائية التناص في لغة السرد مع نصوص  
أخرى منها المأثورات الشعبية، ومن ذلك التناص مع أغنية أم كلثوم التي  
سمعها على ظهر السفينة في طريق سفره لبريطانيا " أنت فين والحب  
فين، أنت تعرف قبله معنى الحب فين " (١)، هذا التناص تناص اقتباسي  
كامل من دون أن تعمل فيه يد التحوير أو التغيير، يدلّ على أن هناك  
شخصاً عربياً معه على متن السفينة .

وفي الرواية أيضاً نجد تناصاً مع مثل، وهو ما يطلق عليه ( تناص  
الأمثال ) ومنه " عندما يهرب مني النوم أشغل نفسي بعدّ الأغنام داخل  
الحظيرة حتى يغلبني النعاس " (٢)

هذا تناص منصوص داخل علامتي تنصيص، يدلّ على تقلب عيسى وعدم  
مقدرته على النوم، بسبب الحالة النفسية التي يعاني منها فهو مهشم نفسياً  
في بلاد الغربة .

مما سبق نستنتج أنّ للتناص دوراً في تعزيز الفكرة الرئيسية، وتقويتها،  
وتثبيتها في ذهن المتلقي .

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٥٩ .

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٥٩ .

---

## ١) لغة الحوار الروائي :

تعتبر لغة الحوار في النص أو العمل الأدبي شماعة يعلّق عليها العمل ويتكلم عبرها الشخص بـكل المفردات، الحب، الحزن، الألم... ، والأداة اللغوية في الحوار بمفرداته ومستواه ووظيفته كلها قضايا شغلت الدارسون في حقل الرواية العربية، بسبب ازدواجية اللغة أي استخدامنا للعامية في الحديث اليومي والفصحى في الكتابة، وقد أشرنا إلى هذه القضايا التي شكلت محور عدد من الكتابات التي أثارت إشكالية الحوار داخل النص الروائي، والتي تعدّ المنارة والنافذة التي تظهر من خلالها شخصيات الرواية، وللحوار وظائف أهمها يسمح " بالتخلص من جمود الأسلوب الأدبي من خلال استخدام ألفاظ وتعابير وصيغ نحوية مستفادة من اللغة الحية" (١)

ونوّعت الكاتبة ( أسماء ) من لغة الحوار في روايتها، فتعددت أصوات الشخصيات، وجعلت لغات شخصياتها تحمل انتماء اجتماعيا، على طريقة ( فلوبيير ) الذي هاجم ( هوغو ) لا ستنطاقه شخصيات ( البؤساء ) لغته فيقول فلوبيير عند حديثه عن البؤساء : " أمّا بالنسبة إلى كلامهم، فإنهم يتكلمون بطريقة جيدة جدا، ولكن الكل بالطريقة ذاتها، هذيان الأب، هذيان جمان، فكاهة تولومياس، كل هذا يأتينا في قالب واحد" (٢)، فنراها تستثمر التنوع اللهجي الصحراوي والمدني في استنطاق شخصياتها، وتأخذ مثلا على التنوع الحوارية في الرواية، هذا الحوار

---

(١) -د. لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ٨٢.

(٢) فيليب دوفور : فكر اللغة الروائي، ترجمة : هدى مقتّص، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١١ : ص١٧٢.

---

المقتطف من الرواية بين بدرية ووالدتها، وفيه تتحدث الشخصيات  
باللهجة البدوية الخليجية : (١)

- مسكين، يقولون عيسى المزلاي مات

- من قال يا أمي ؟ - فال الله ولا فالك، باسم الله عليه طيحتي قلبي .

- قوية العين شو تقولين .

- حرام أمي تقولين على الولد هذي رمست حريم، هو بخير وعافية إن  
شاء الله، هو أكيد مسافر .

في الحوار السابق جعلت الكاتبة شخصياتها تنطق بلهجتها، لتضفي  
الواقعية على روايتها، فاستخدمت ألفاظا تناسب الموقف، وتعبر عن  
شعور من نطق بها، مثل ( طيحتي قلبي ) تدلّ على خوف بدرية على  
عيسى ، ومنه أيضا في الرواية الحوار الذي جرى بين عيسى وصديقه  
المصري سمير، فجعلت شخصياتها تنطق كلمات بلهجة مصرية، لأنّ  
سمير مصري الجنسية : (٢)

- إزيك يا مزيقة .

- مش معقول، سمير ! فينك يا راجل والله لك وحشة .

- ساعة لما ترفع السماعة يا راجل يا عجوز . - العتب على السمع .

- يا راجل أنا بهزر معك إنت لسه في عز شبابك .

ومن تنوع لغة الحوار في الرواية، حوار عيسى مع أولاده بلغة فصيحة

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٢٥ .

(٢) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٦٦ .

---

بسيطة، كون أولاده مثقفين متعلمين، فاستتظقتهم الكاتبة لغة فصيحة،  
لغة المدارس: (١)

- لماذا هذه الضجة، هل هناك شيء يدعو للضحك؟

- ألا يضحك هذا المنظر! انظر كيف انقلب العجوز من دراجته .

- وهل مصائب الناس تضحكم؟

- أبي ماذا بك؟ هل أنت متوتر لأنك أخيراً ستعود إلى بلدك كما تقول؟

في الحوار السابق، استخدمت الكاتبة لغة فصيحة بسيطة، اتكأت على  
أساليب الاستفهام القصيرة المناسبة للموقف وللشخصيات الناطقة بها .

---

(١) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، ص ٢٩.

---

وفي الختام : هذه الدراسة ماهي إلا مغامرة، سعيت من خلالها إلى تعقب ورصد آراء النقاد في اللغة الروائية، وتحليل اللغة الروائية في رواية ( الجسد الراحل )، وهو لاشك موضوع إشكالي متشعب، لا يمكن الإلمام به، وعليه أخلص بالآتي :

- قلة الدراسات - من قبل الباحثين والمختصين في مجال الرواية - التي تستهدف اللغة الروائية، مقارنة بتلك الدراسات التي تركز على عناصر الرواية الأخرى كالشخصيات والزمان والمكان .

- حرصت الكاتبة - أسماء الزرعوني - على استعمال اللغة الفصحى الحديثة في السرد، وعلى التنوع في الحوار .

- استخدمت الكاتبة لغة فصحى بسيطة في السرد، لغة يفهمها العامة، فنوّعت في مستوياتها التقريرية، والتعبيرية، والتصويرية .

- نوّعت الكاتبة من لهجات شخصياتها في الحوار، فجعلت من الحوار مقياسا للواقعية، فتركت كل شخصية من شخصيات الرواية تحمل لغتها، فجاء الحوار في هذه الرواية، وفي كل الأحوال، حوار مبسط، قريب من المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للشخص .

- لم ترتق الكاتبة في لغتها إلى مستوى الشاعرية، بل اكتفت بلغة بسيطة، لتوصيل ما تريد، فوضعت في الاعتبار مستويات القراء وأحوالهم النفسية والاجتماعية ودرجات الفهم والاستيعاب .

وفي الختام أنوّه إلى أنّ أفق البحث في اللغة الروائية ما يزال مفتوحا أمام الدارسين والمهتمين في مجال الرواية، لتزيد دراستهم هذا الموضوع إثراء وإغناء.

والله ولي التوفيق

---

## المصادر والمراجع :

- ١- القرآن الكريم : سورة الرحمن، الآيات ٢١٣ - ٢١٤،
- ٢- ابن منظور : لسان العرب مادة ( لغا )، المجلد الخامس عشر، ط١، دار صادر بيروت ١٩٩٤.
- ٣) إبراهيم أنيس ورفاعة : المعجم الوسيط، طبعة مصر، القاهرة، ١٩٧٢ .
- ٣) أسماء الزرعوني : الجسد الراحل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ٢٠٠٤.
- ٤) إميل بنفست : سيميولوجيا اللغة، ترجمة : سيزا قاسم، فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد الأول، العدد ٣ إبريل ١٩٨٣.
- ٥) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ١٩٩٧.
- ٦) جيرالد برنس : قاموس السرديات، ترجمة : السيد إمام، مرجع سابق، ص٩٧ - ٩٨.
- ٧) رولان بارت : درس السيميولوجيا، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي، تقديم : عبد الفتاح كليطو، ط٣، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٩٣.
- ٨) د. سعيد حسن بحري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٧.
- ٩) د. صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢.
- ١٠) د. عبد الرحمن غانمي : الخطاب الروائي العربي قراءة سوسيو لسانية، الجزء الثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٣.
- ١١) د. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - شعبان ١٩٩٠.
- ١٢) فردينان دي سوسير : علم اللغة العام، ترجمة : د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة : د. مالك يوسف المطلبي، ط٣، دار أفاق عربية بغداد ١٩٨٥.

- (١٣) مجدي وهبه، كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤، ص ٣١٨.
- (١٤) ، ص ٣٣.
- (١٥) فردينان دي سوسير : علم اللغة العام، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطليبي، ط٢، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥، ص ٣.
- (١٦) فردينان دي سوسير : علم اللغة العام، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطليبي، ط٢، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥، ص ٣٢.
- (١٧) فيليب دوفور : فكر اللغة الروائي، ترجمة : هدى مقتص، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١١.
- (١٨) د. لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية، ط١، دار النهار للنشر مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠٢.
- (١٩) د. منقذ نادر العقاد : بنية السرد في الرواية العربية الجديدة، ط١، دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، الشارقة ٢٠١٢.



## نبذة عن صاحب البحث

الاسم : فراس أحمد شوّاخ

الجنسية : سوريا

المؤهلات :

- بكالوريوس لغة عربية، جامعة حلب ٢٠٠٥.
- طالب ماجستير أدب ونقد، جامعة النيلين عنوان الأطروحة ( البناء الفني للرواية الإماراتية ) .

العمل : مدرس لغة عربية، مدرسة الاتحاد الخاصة الممزر/ دبي .

العنوان : عجمان – شارع الكويت – هاتف : ٠٠٩٧١٥٠٤٩٢٠٥٦٦

البريد الإلكتروني : M.FIRASM@HOTMAIL.COM